

مخطوطات ومطبوعات

تفسير الدين البهزي : تاريخ حكماء الاسلام

عني بنشره وتحقيقه الأستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق وهو من مطبوعات المجمع ، طبع بمطبعة الترقى بدمشق عام ١٩٤٦ ، عدد صفحاته (٢٠٤)

اسم هذا الكتاب بالتحقيق : (تتمة صوان الحكمة) ، كما جاء في ترجمة مؤلفه في معجم الأدياء - وانما سمي مؤخرًا : (تاريخ حكماء الاسلام) لاقصره على ترجمة فلاسفة الاسلام من رجال القرن الثالث والرابع والخامس والسادس . وقد نسج مؤلفه فيه على منوال أبي سليمان المنطقي السجستاني في كتابه : (صوان الحكمة) ، الا ان كل من ذكره ابوسليمان لم يترجم له البيهقي لاعتقاده ان اباسليمان قد أنصف في ذكره ، فجاء كتابه مقصوراً على ترجمة مائة واحد عشر حكماً ومبندساً وطيباً وفلكياً ومنجماً من ابناء الشرق القريب . فليس فيه اذن ذكر لفيلسوف من فلاسفة اليونان ، ولا ترجمة لحكيم من حكماء الأندلس .

وربما كان تاريخ الحكماء للقفطي أتم واكمل من كتاب ظهير الدين البيهقي ، الا ان البيهقي صنف كتابه قبل القفطي بمائة سنة . وترجم لحكماء لم يتعرض لهم غيره . فله في ذلك فضل التقدم ، وله ايضاً منزلة خاصة لا يشاركه فيها كتاب آخر ، وهي اشتتاله على تراجم بعض المعاصرين ممن عرفهم البيهقي وانصل بهم وعاشهم كالفيلسوف حجة الحق عمر بن الخيام ، والامام محمد الشهرستاني ، والامام احمد بن حامد النيسابوري ، والامام محمد الحارثان السرخسي ، وغيرهم .

وأحسن ما في الكتاب ترجمة ابن سينا . فقد توسع فيها المؤلف خاصة ، واكثر من اخبار الشيخ الرئيس ، وذكر تلاميذه ومعاصريه وما جرى بينهم من المناظرات والمناجرات كالفيلسوف ابي الفرج بن الطيب الجائليق ، والحكيم ابي القاسم

الكرماني ، واني الريحان البيروني وغيرهم . وهذه الأخبار تصور لنا عصر ابن سينا احسن تصوير ، وتبين لنا كيف كانت مدن الشرق تعج بالفلاسفة ، وكيف كان الملوك والأمراء يرتبطون الحكماء والأطباء ويشاركونهم في العلم .

أشار الأستاذ الرئيس محمد كرد علي الى ذلك كله في مقدمة الكتاب ، ثم قال : وقد عرفنا من كتاب المؤلف « ان التعصب كان بعيداً جداً عن الحكماء ، وعهدنا بأكثر المؤلفين في تلك القرون يترجمون لأهل الاسلام كما يترجمون لمن لم يمثل ملته بدون غرض ولا هوى » وقال أيضاً : « وأنا هذا الكتاب يبرهان آخر على ان المدينة الاسلامية وحدة لا تتجزأ ، وان كل قطر متمم للأقطار الأخرى ، فاذا كانت خراسان خست برجال الحكمة ، فان الأقطار السائرة أخرجت رجالاً في فروع العلم غير قليلة » (ص : ٧ - ٨) . وقال أيضاً : « ترجم البيهقي من ترجم لهم بإيجاز ٠٠٠ وأنا لنجد من الأخبار في هذه التراجم المختصرة ما لا نجد من تراجمهم في بعض كتب السير المطولة . ومن أهم ما حرص على ذكره ما أثر لهم من حكم لطيفة اهتم بالتقاطها أكثر من اهتمامه بتدوين سني ولاداتهم ووفياتهم . وقد بفضل ترجمة الرجل ويكتفي بنقل ما عني اليه من كلام جميل » .

فن الحكم الدالة على فلسفة ذلك العصر ما نقله المؤلف من حكم القاضي الفيلسوف محمد الأفضل عبد الرزاق التركي (ص ١٣٠) . قال : « إذا أردت ان تعرف مثلاً لترتيب الوجود فانظر الى الخليفة ينصب السلطان ، والسلطان ينصب الوزير ، والوزير ينصب الأمير ، والأمير ينصب الوالي ، والوالي ينصب القاضي ، والقاضي ينصب المزكي والعدول » . فهذا القول يشير الى ترتيب الوجود في نظر ابن سينا وغيره من فلاسفة الاسلام ، يدل على تأثير الحياة السياسية والاجتماعية في النظريات الفلسفية . فكان المبدأ الأول في نظرية الفيض هو الخليفة وكان العقل الأول هو السلطان ، وكان العقل الثاني هو الوزير . والكون أشبه شيء بدولة فصلت فيها القوة المدبرة عن القوة المحركة كما فصلت

القوة الروحية في المجتمع السياسي عن القوة التنفيذية ، والمبدأ الأول يخلق العقل الأول كما ينصب الخليفة السلطان ، والكواكب وافلاكها تتحرك في السماء تسبيحاً لله تعالى كما يتحرك الأمراء والسلاطين في خدمة الخليفة المقيم في بغداد . وقصارى القول ان كتاب البيهقي عظيم الفائدة لأنه صور لنا ناحية جميلة من نواحي التفكير الاسلامي وكشف لنا النقاب عن حياة بعض الحكماء الذين لم يترجم لهم القفطي ولا ذكرهم ابن ابي اصيبعة وابن خلكان . وقد حقق الأستاذ الرئيس محمد كرد علي هذا الكتاب أحسن تحقيق ، وقدم له بمقدمة جامعة ، وشرح معانيه وعلق عليها ، وقارن بين ما أتانا به البيهقي وبين ما ذكره صاحب طبقات الأطباء وصاحب تاريخ الحكماء من الأخبار والسير . وختم الكتاب بفيارس في التراجم ، والأعلام ، والأمكنة ، والبقاع ، والشعوب ، والقبائل ، والمذاهب ، والكتب ، فجاء عملاً هذا متمماً لكتب التراجم الأخرى ومعبداً لنا كثيراً من الحلقات المفقودة من تاريخ الفكر الاسلامي .